ترتيلة السَّحَر

في وادي تشامونى [1]

« يا لهذه الناظر الساحقة في مهابتها المتكئة على الوادي العميق في شتى الصور أنها لسحر — سحر تكاد لا تصدقه العين لولا أنها حقيقة ماثلة ».

برسي شيلي

عَلَوتَ بعرشك السامي ارتفاعا ... مهيباً في جلالتـه مطاعا !!
فهل لك قبل أن تخفي الدياجي ... فتبقى نجمـةَ الإصباح ساعا ؟!
أيا جبل الروائع ، لست أدري ... وفيك أرى الأباطح والقلاعا ؟
أأنت تزينها ، أم أنّ منها ... جمالاً ما بغى إلاّ ضلاعا ؟
فما أبهاكَ في صمتٍ تجلّى ... على واديكَ ينحدرُ انصياعا
تحفُّ بك الجداولُ جاريات ... تجوسُ مسالكَ الغاب اندفاعا
تصفّقُ بالخرير وما توانى ... عن الإيقاع يجتذب السّماعا
ويكسوك الظلامُ ثيابَ دُجنٍ ... كَلَوْنِ (الآبنوس) إذا أشاعا
تناورُهُ البقاء ، وقد أغارت ... عليك نجومُه تبغي الصّراعا
وأنتَ أزاءها طودٌ شموخٌ ... تصدُّ جيوشها عَرِماً شجاعا [2]
فيا لك ماردا لم تكتنفهُ ... غوائلي الهول رُعباً وارتياعا
تحلّق بالنواظر فيك أرنو ... وما تنفكّ أشواقي رِباعا
وأرجعُ محدقاً بين الروابي ... فألفى الغيبَ يزدادُ اتّساعا
فيا زهراً تناثر مستقرّاً ... على الأغصانِ من شغفٍ تداعى
ويا شجر الصنوبر والتوالي ... تعانقُ من ذوائبها التياعا

---

(١) مقتبسة من قصيدة للشاعر الانكليزي صموئيل تيلور كولبردج وضعها عند زيارته لوادي الجبل الرائع بجبال الالب في شمال ايطاليا. ولد كولبردج عام ١٧٧٢ وتوفي عام ١٨٣٤

(٢) عرم — قوي شرس .

ويا سربَ السوائم وهي ترعى أمانيَّ الجنادل لا تُراعى
تُجاورُها النسور مهومات جوائم في مكامنها سباعا
ألا بل فاسجدي حمداً وشكراً لمن أحياكِ أشتاتاً جماعا

* * *

فلوها يا أبا الأطوادِ إنها تحيَّةُ زائرٍ بالحُبِّ ضاعا (١)
تباركتِ السماء بما أفاضت عليك، فغسَّلت هذي الرُّباعا
تؤمُّ عيونها ظمأى عطاشا وتقطف شهدها غرثى جياعا
فأيقظ روحيَ الوسنان يسحو وأطلقْ من ذخائركِ اليراعا
فلستُ أشيمُها نبتاً ورملاً وإن راقت محاسنها طباعا
أبِنْ لي ما تضمن في سناها وكيف يشفُّ خلقاً وابتداعا
وهَبْ لي سرَّها فيما تناءى شخوصاً بالحياة تُرى شراعا
وأيقظْ قلبيَ الهفانَ أيقظ فمَن وجدانه أردُ المتاعا
أمرَّ عليك بالنجوى، وأنِّي لأبصرُ فيك آفاقاً رِتاعا (٢)
فما كنتَ الحديثَ يرقُّ لفظاً وينفثُ في مقاطعه الخداعا
ولكن فيك أرواحٌ تلاقي خيالاً كالوميض شبا شُعاعا
لتبعثها العواطفُ أين كانت هُياماً أو حنيناً أو مُلاعا (٣)
أسيرُ برسمها جذلاً طروباً وأنزحُ عن معالمها وِداعا
سلاماً، فالصباح أراه يدنو ليُسدلَ فوق جَنَّتِك القناعا
لقد آن الرحيلُ، وكلُّ وصلٍ تبدَّدَ فُرقةً وغدا نِزاعا (٤)
فإن فارقتُ وجهَكِ لستُ أنسى مَدَى الأيام، حسنَك والبقاعا

القاهرة — عبد السلام رستم

(١) ضباع — فتر النظر وفاح (٢) رتاع — ج رائع، المكان الخصيب
(٣) الملاع — الجزع، الخوف (٤) النزاع — الحنين والشوق